قيمة العمل

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وبعد؛؛

نحيا اليوم مع (حق العمل وإعلاء قيم السعي والكد)

أولا حض الإسلام على العمل

ديننا دين عمل، دين يجمع بين الجوهر والمظهر، بين القول والفعل، بين النظرية والتطبيق، وتأكيدا على هذا المعنى فقد وردت مادة العمل في القرآن في أكثر من مائتي، منها ثمانين آية عملوا الصالحات: آية فكل آية في كتاب الله ورد فيها لفظ الإيمان جاءت مقرونة بالعمل، كدلالة على أن الإيمان لا يتم بدون العمل، وأن العمل دليل على صدق الإيمان، قال تعالى: " وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ.." وقال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.. وقال سبحانه: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا..

وغيرها من الآيات التي تبين قيمة العمل، وأن إيمان بلا عمل كجسد بلا روح، والعمل دليل القول، فلكل قول حقيقة، ولكل كلام برهان، فبرهان القول أنه لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله، التوحيد وحسن المعتقد والتوكل، والطاعة ممثلة في صلاة وزكاة، وفرائض ونوافل، والتوقير والتقدير لمقام سيدنا رسول الله ﷺ.

الإسلام والدعوة للعمل والحض عليه:

ورد لفظ الأمر بالعمل في تسع آيات منها قول الله تعالى: " قُلْ يَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ" وتلك الآية دعوة لإتقان العمل والجد فيه، قل يا محمد ﷺ لمشركي قومك، الذين اتخذوا الأوثان والأصنام آلهة يعبدونها من دون الله اعملوا أيها القوم على تمكنكم من العمل الذي تعملون ومنازلكم وتلك الآية غاية في الروعة فهي دعوة للفكر الحر، فإذا كنتم تعتقدون أنكم أنتم الأصوب والأحق بالاتباع

فهاتوا برهانكم واجتهدوا في إيجاد هذا البرهان، أما برهاننا واضح لا لبس فيه، ولا تعقيد، فليكن الفكر بالفكر، والحجة بالحجة والبرهان بالبرهان!

وفي آية تعتبر منهجا وشرعة يقول الحق سبحانه:" وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ.." أي يا محمد ﷺ قل بصيغة الأمر، والأمر يعني الفرض والإلزام، لأمتك أن يعملوا أي بصيغة الأمر، والفاء حرف استئناف، والسين للاستقبال، أي يوم العرض وهو قريب، وإن كنتم تظنونه بعيدا، يري فعل مضارع، ولفظ الجلالة سبحانه فاعل، فالرؤية والحكم والتقدير والحساب وكل شيء له سبحانه" يَوْمَ هُم بَارِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ..)

يقول الإمام السلمي: أي اعمل وأصلح العمل وأخلص النية فإن الله عز وجل يرى سرك وضميرك، وأن النبي ﷺ يراه في الدنيا، والله يجازيه بعمله وإتقانه وإخلاصه، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

وعندما تنظر إلى الآيات السابقة، تجدها تتحدث عن التوبة، وقد شرطت لها شرطين الأول، صدقة تطهر وتنمي وتربي النفس، مشفوعة بعمل، فمن شروط التوبة، الإقرار والندم والإقلاع، ومخالفة العادة الذميمة بأخرى حسنة، عندها يبدل الله السيئات حسنات.

ويقول الحق سبحانه:" أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ." فالحق سبحانه قد وهب لداود ملكا وعظمة وأموالا، ومع هذا أمره بالعمل، في رسالة إلى أن العمل شرف لا يضاهيه، شرف، وَلَقَدْ آتَيْنا داوُدَ مِنَّا فَضْلاً يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (10) أَنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صالِحاً إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فقد سخر الله له الحديد وعلمه مهنة الحدادة، حتى إن الحديد كان يلين بيديه، وكانت صنعته عمل الدروع المتقنة التي لا تجد مثلها في العالم كله، وكانت مميزه كونها خفيفة فلا تثقل من يلبسها، حصينة قوية منيعة بغير ثقل، وهذا معنى قول الحق سبحانه: وقدر في السرد، أي كن وسطا، قال ابن زيد: التقدير الذي أمر به هو في قدر الحلقة، أي لا تعملها صغيرة فتضعف فلا تقوى الدروع على الدفاع، ولا تعملها كبيرة فينال لابسها.

وسليمان ولده عليهما السلام على سعة ملكة لكنه كان يعمل، قال سبحانه:

وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ.. مع سعة الملك لكنه كان يعمل بيديه، وسيدنا رسول الله ﷺ: يثني على دواد عليه السلام ما أكل أحد طعامًا خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده (رواه البخاري)

السعي في الأرض من أركان الإيمان ومقاصد الشريعة

قال ﷻ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ، أي أن الله سبحانه خلقكم لهدف واحد، عمارة الأرض قال سبحانه: هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ... أي جعلكم من أصل واحد، لكي لا يتكبر أحدكم علي بعض، ولا يترفع عن عمل، وطلب منكم على سبيل الأمر عمارة الأرض، والسير فيها والسعي في أركانها وارجائها، فكل شيء مسخر لبني آدم ألم تسمع لقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ وفي الأثر مما روى عن بني إسرائيل وهو من الأخبار التي نتوقف عندها لا بالإثبات ولا النفي: ولكن له شواهد سأبينها ابن آدم خلقتك لنفسي، وخلقت كل شيء لك، فبحقي عليك لا تشتغل بما خلقته لك عما خلقتك له (ابن تيميه وابن القيم والإمام الغزالي وغيرهم من أهل العلم وقالوا من نبأ بني إسرائيل) ألم ترى أن الله قال في أكثر من آية أن الله خلق الإنسان وكرمه، وسخر له ما في السموات وما في الأرض، وأعطاه السمع والبصر الفؤاد، وخلقه للعبادة، كما قال سبحانه: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} .. فالعاقل يعلم أن الله في كل شيء في بصره وسمعه وخلقه، وعليه أن يطيع مولاه، وأن يراقبه، وأن يتقن عمله وعبادته ويعلم أنه مسئول وموقوف بين يدي الحق سبحانه!

وفي هذا يقول ابن عطاء الله رحمه الله ورضي عنه: اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة، فأنت مأمور بالعمل بالسعي بالعبادة، أما أمر الرزق والتحصيل فبيد الخالق سبحانه، وكل جهد له جزاء، إما أن تجد ثمرة جهدك في دنياك، في ولدك، في زوجك في ترقيك في عملك، أو أن يدخره الله لك في أخرتك، ويا سعد من وجد جزاء عمله عنده ربه،

قال تعالى لبعض هؤلاء المتعجلين، الذين يتعاملون مع الله بالقطعة وبحساباتهم فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ - وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ.. أما العاقل العارف فيعلم أن ما عند الله خير وأبقى!

فإن رفعة تلك الأمة ورقيها وسر تقدمها في سواعدها، وإلا ما الفكرة في قول الحق سبحانه أنه سخر لنا السماء والأرض والجبال؟ ما الفائدة من ذكر الأرض الممهدة، والطرق المعبدة،؟ كلها رسائل للسعي، للجد، للعمل للأخذ بأسباب الرفعة والتقدم! أخرج الحكيم الترمذي عن معاوية بن قرّة قال: «مرّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقوم فقال: من أنتم؟ فقالوا: المتوكلون، قال: بل أنتم المتأكلون، إنما المتوكل رجل ألقى حبه فى بطن الأرض وتوكل على الله عز وجل».

العمل مزية شرف الله بها أنبيائه ورسله:

أنبياء الله هم أفضل خلق الله، وأكرم خلق الله، وكان الله قادرا على أن يرزقهم وأن يغدق عليهم من الخير والمال الوفير بلا تعب منهم ولا كد، وأن يصير لهم الجبال ذهبا وفضه، فهو القادر على كل شيء سبحانه، ولكن الله أراد أن يعطينا رسالة مفاداها أن الشرف في العمل، في السعي والكد، وأن خير ما تُطعمه هو ما كان من سعيك وكدك، فهذا إدريس عليه السلام الذى رفعه الله مكانا عليا، وكلم سيدنا رسول الله في رحلة الإسراء، وأول من خط قلما على رأي بعضهم! وكان يعمل خياطا، وروي عن ابن عباس رضي الله عنه فَكَانَ لَا يَغْرِزُ إِبْرَةً إِلَّا قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، فَكَانَ يُمْسِي حِينَ يُمْسِي وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ أَفْضَلَ عَمَلًا مِنْهُ.. وداود عليه السلام كان حدادا، ويوسف عليه السلام كان حاسبا ألم تسمع لقول الله قال أجعلني على خزائن الأرض، وموسى عليه السلام كان راعيا، وفي الحديث ما بعثَ اللَّهُ نبيًّا إلَّا راعيَ غنَمٍ، قالَ لَهُ أصحابُهُ: وأنتَ يا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ: وأَنا كُنتُ أرعاها لأَهْلِ مَكَّةَ بالقَراريط قالَ سُوَيْدٌ: يعني كلَّ شاةٍ بقيراطٍ (البخاري) وكل شاه بقيراط أي بدانق وهو الدرهم وسدس الدرهم، وكانت من الدراهم الساسانية التي توجد مع بعض التجار والموسرين!

ولعل الحكمة من الرعي، أولا أنها حرفة وللتأكيد على أهمية العمل وشرفه، مهما كان شاقا ومتعبا، وصعبا فمهنة الرعي من أصعب المهن، أولا لأنها مع حيوان، ثانيا

لأن الرعي يكون في بيئات قاحلة صحراوية جرداء، فيعلم النفس الصبر ويمرنها على التحمل، فتكون نفس النبي قوية، قادر على الترتيب والتنظيم والتفكير السليم، والجدل والمناقشة والصبر والاحتمال، والشاهد أن العمل كان من سمات الأنبياء والمرسلين، وها هو النبي ﷺ يوم الخندق يحمل الحجارة مع أصحابه ويضرب بالفأس في صخرة لا تأخذ فيها المعاول فيكسرها بحول الله، وفي غيرها من المواقع، يحمل على كتفه الشريف ويتقدم الصفوف، ولما سئلت أمنا عائشة رضي الله عنها عن عمل سيدنا رسول الله ﷺ قالت: عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا سُئِلَتْ: مَا كَانَ عَمَلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: «مَا كَانَ إِلَّا بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ، كَانَ يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلِبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ» (ابن حبان والبخاري الأدب المفرد).. أي أنه كان بشرا مثلكم كما قال عن نفسه ووصفه ربه، أي يتواضع ويترفع عن أن يخدمه احد وهذا من جمال وكمال خلق سيدنا رسول الله ﷺ، وإلا فالأولى أن تحمل الأمة كلها نعل سيدنا رسول الله ﷺ وليس فيه من المغالاة شيء لكن كان ﷺ من حسن خلقه أنه يتواضع، فيفلي ثوبه، والفلا معروفة وهي الصحراء، والمعني أن النبي ﷺ يتفقد ثيابه مما قد يعلق بها من الصحاري أو ما شابه ولا يعني أبدا ما قد ينصرف إليه ذهن البعض أن الثوب علق به قمل أو غيره فرسول الله كان جميلا طيبا، لا يعلق به شيء من هذا طاهرا، نقيا، الدليل علي ما أشرت إليه حض النبي ﷺ على تنظيف الفراش قبل النوم إذا أوَى أحَدُكُمْ إلى فِراشِهِ، فَلْيَنْفُضْ فِراشَهُ بداخِلَةِ إزارِهِ؛ فإنَّه لا يَدْرِي ما خَلَفَهُ عليه، ثُمَّ يقولُ: باسْمِكَ رَبِّ، وضَعْتُ جَنْبِي، وبِكَ أرْفَعُهُ، إنْ أمْسَكْتَ نَفْسِي فارْحَمْها، وإنْ أرْسَلْتَها فاحْفَظْها بما تَحْفَظُ به عِبادَكَ الصَّالِحِينَ. (البخاري) ذلك أن البيوت في زمنه ﷺ بسيطة في فلوات ربما آوي إليها حيات أو حشرات من الصحاري أو البادية ولذا حرص النبي على سلامة المرء، وأن يكون في معية الله سبحانه.

وكان من هديه ﷺ أنه يقوم بعمله بنفسه، وهذا من تواضعه وكمال خلقه ﷺ: كيف لا وهو صاحب الخلق الرفيع على المدي، هو قائد للمسلمين همام، هو سيد الأخلاق دون منافس، هو ملهم هو قائد مقدام، لا الشعر ينصفه، ولا النثر يوصفه، ولا الدوى تحكي فضله ولا الأقلام.. صلى عليك الله يا خير الورى ما دارت الأفلاك والأجرام، صلى عليك الله يا خير الورى ما مرت الساعات والأيام.

آداب العمل ولوازمه:

للعمل أداب منها:

1- تقوى الله عز وجل: ، فعلي العامل أن يتق الله في مأكله ومشربه ومطعمه عملا بقول الله عز وجل: وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ، فيتحرى الحلال الطيب كما قال النبي ﷺ: إنَّ الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإنَّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المُرسلين؛ فقال تعالى: يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا [المؤمنون:51]، وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ [البقرة:172]، ثم ذكر الرجلَ يُطيل السفر، أشعث، أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام، فأنَّى يُستجاب له؟! رواه مسلم.

2- الإتقان: عَنْ أمنا عَائِشَةَ – رضي الله عنها- ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ ". (شعب الإيمان) فالإتقان طاعة وحب، وقربة لله سبحانه، وسبب من أسباب الرفعة والتقدم أن تحسن الصنعة، كما أوحى الله إلى داود وقدر في السرد، فهذا وحي بحسن الصناعة وإتقانها، وهي رسالة لكل أهل الأرض، أن يحسنوا فيما ولاهم الله إياه وأن يعلم الصانع والعامل أنه مسئول عن رعيته، مسئول عن عمله، مسئول عن طلابه، عن مرضاه، عن آلته، عن فأسه، عن أي شيء يوديه حفظه أم ضيعه، والويل كل الويل لمن ضيع الأمانة: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ..

3- الأمانة: أن تكون أمينا في عملك، فإن ابنة شعيب قالت لأبيها، إن خير من استأجرت القوي الأمين، فأختر لعملك ما ترضاه لأهل بيتك، العامل كالابن وكزوج الابنة، لا بد أن يكون امينا، وعملك وورشتك كبيتك، تخير لها من يصونها، من يتق الله فيها، من يرعى الأمانة ولا يخونها، وأنت أيها العامل تذكر قول الله: لا تخونوا الله والرسول، ولا تخونوا أماناتكم.. فالله سائلك عن الأمانة أديتها أم ضيعتها! حاسب نفسك قبل أن تحاسب وقبل أن يحاسبك رب عملك، وأعلم أن الله شهيد عليكم، رقيب عليكم حسيب عليكم، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

4- الإخلاص : أن تخلص العمل لله، وأن تعمل بجد كأنك تعمل في مشروعك أو بيتك، فإن الله هو الذي يجازي، وإن رأي الله منك خيرا سيكون الجزاء منه

أجمل من فعلك، فهذا يوسف عليه السلام يقول إني حفيظ عليم، أحفظ مالك وأكون عليه أمينا، عليما أي خبيرا عالما ببواطن الأمور.

5- الخبرة: شرط من شروط العمل وأدب من أذابه، أن يعمل كل عامل في الشيء الذي يجيده والفن الذي يعرفه، ومن تحدث في غير فنه آتي بالعجائب فعلي كل منا أن يتقن ما يعرفه وأن يتحدث فيما يفهمه وأن يبتعد عن الشيء الذي لا يتقنه ويعلم أن الرزق مقسوم لا يأتي بالحلية أو غيرها من الأمور التي لا يرضاها الله .

ومن حق العامل على صاحب العمل أن يأخذ حقه والا يكلفه ما لا يطيق وأن يتق الله فيه "أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ" وفي الأثر : المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى . والمنبت : هو الذي حمل دابته فوق طاقتها حتى عجزت واضطجعت فلا هو قطع طريق السفر ولا هو أبقى ظهر دابته فعلي صاحب العمل الا يكلف عامله ما لا يطيق، فلا يستفيد منه بعد ذلك فلا هو أنجز عمله ولا استفاد من عامله بل ربما دعا الله عليه، بما كلفه ما لا يطيق.

أعملوا كونوا حطابين صناعا زراعا لا تعجزوا وكونوا كما قال رسول الله ﷺ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا، فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ» (البخاري) «إنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ آجَرَ نَفْسَهُ ثَماني سِنِينَ أَوْ عَشْراً عَلَى عِفّةِ فَرْجِهِ وَطَعَام بَطْنِهِ»

حكاية: كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ مِنَ الأَشْرَافِ، وَكَانَ أَبُوهُ شَرِيفًا كَثِيرَ الْمَالِ وَالْخَدَمِ وَالْجَنَائِبِ وَالْبُرَاةِ [الصقور] ، بَيْنَمَا إِبْرَاهِيمُ يَأْخُذُ كِلابَهُ وَبُزَاتَهِ لِلصَّيْدِ وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ يَرْكُضُهُ، إِذَا هُوَ بِصَوْتٍ مِنْ فوقه: يا إبراهيم، ما هذا البعث أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً. اتَّقِ اللَّهَ، وَعَلَيْكَ بِالزَّادِ لِيَوْمِ الْفَاقَةِ، قَالَ: فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ وَرَفَضَ الدُّنْيَا وكان لا يأكل إلا من عمل يده

ومن سير بعض مشايخ الأزهر كما روتها لنا بعض الوثائق أن نفر منهم كان يأبى أن يأخذ أجرا علي تعليم العلم، ويذهب فيعمل بحرفة بعد انتهاء عمله في تعليم أبناء المسلمين، فمنهم من يعمل خياطا أو مساحا أو دلالا أو كاتبا وهكذا!

عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ: أَيُّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ؟ قَالَ: عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ. (الحاكم) وفي الحديث وإن ضعف بعضهم سنده لكن صحيح المعنى: " إن الله يحب المؤمن المحترف " . وعن كعب بن عجرة: " مر على النبي صلى الله عليه وسلم رجل، فرأى أصحاب رسول الله . صلى الله عليه وسلم . من جده ونشاطه ، فقالوا: يا رسول الله.. لو كان هذا فى سبيل الله !!. فقال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : " إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين نهو فى سبيل الله . وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها . فهو فى سبيل الله . وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان " (الطبراني صحيح)

يحكي عن إبراهيم الخواص أنه قال: كان لي وقتا فترة، كنت أخرج كل يوم إلى شط نهر كبير كان حواليه الخوص، فكنت أقطع شيئا من ذلك وأسفه قفافا فأطرحه في ذلك النهر، وأتسلى بذلك، وكأني كنت مطالبا به، فجرى وقتي على ذلك أياما كثيرة، فتفكرت يوما وقلت أمضي خلف ما أطرحه في الماء من القفاف لأنظر أين يذهب، فكنت أمضي على شط النهر ساعات ولم أعمل ذلك اليوم، حتى أتيت في الشط موضعا، وإذا عجوز قاعدة على شط النهر، وهي تبكي، فقلت لها: ما لك تبكين: فقالت: اعلم أن لي خمسة من الأيتام مات أبوهم فأصابني الفقر والشدة، فأتيت يوما هذا الموضع، فجاء على رأس الماء قفاف من الخوص، فأخذتها وبعتها وأنفقت عليهم، فأتيت اليوم الثاني، والثالث، والقفاف تجيء على رأس الماء، فكنت آخذها وأبيعها حتى اليوم، فاليوم جئت في الوقت، وأنا منتظرة وما جاءت، قال إبراهيم الخواص: فرفعت يدي إلى السماء وقلت: إلهي لو علمت أن لي خمسة من العيال لزدت في العمل، فقلت للعجوز: لا تغتمي فإني الذي كنت أعمل ذلك، فمضيت معها، ورأيت موضعها، فكانت فقيرة كما قالت، فأقمت بأمرها وأمر عيالها سنين!!

كتبه د محمد سالم الصعيدي الأزهري

خادم السيرة المطهرة والأستاذ المشارك بجامعة الأزهر الأنور